البورصة ومضارباتها

لجناب الاديب ميشال افندي الياس سماحه

تكاثرت اشغال المضاربات في البورصة في بلادنا وازداد عدد المجازفين باعمالها وخصوصاً في السنين الاخيرة حتى ذهب البعض يتعاطونها كعمل تجاري خاص. ولمّا كان قد تعاظم شر هذه المضاربات وتكاثرت خسائرها رأيت ان آتي هنا بلمحة وجيزة اضمنها شيئاً مما ساعدتني الظروف للتوصل اليه من معرفة احوالها سيّما وان في بلادنا الآن فريقاً عظيماً ممّن يزاولون هذه الاشغال الواهنة تراهم عند البحث والامتحان بالحقيقة اغبياء. واذا عمدتَ الى مذاكرتهم في احوالها وجدتهم انهم ليس على شيء اكيد راهن من معرفة كيفية اعمالها واساليب معاملاتها واسباب تأثير سوقها من صعود وهبوط

لذلك اذا جالست احدهم تراه تعيساً مضطرباً. افكارهُ في اشغال دائم واحوالهُ في قلق عظيم وما هذا الّا من جراء احوال السوق المتغايرة وتقلباتها المتواترة وعلى هذه الفئة ينطبق قول الشاعر:

كريشةٍ في مهبّ الريح طائرةٍ لا تستقرّ على حالٍ من القلقِ

١ اسم البورصة وحقيقتها التجاريّة

يفهم بالبورصة سوق عموميّة يجتمع فيها التجار للمعاملات . واصل اللفظة من اللغة الفرنسويّة (Bourse) لم يتّفق اللغويون على اشتقاقها في هذه اللغة فقيل ان البورصة منقولة عن اسم بعض اهل مدينة بروج (Bruges) يدعى ڤان دير بورص (Van der Burse) كان يجتمع في بيته التجار لعقد شركات دولية وتعيين رأس مالها. وقيل بل دُعيت بذلك لانَّ هذه الشركات كانت تُعقد في نُزل كبير من مدينة امستردام يُدعى نزل الثلاثة الاكياس (hôtel des Trois Bourses)

على انَّ هذه الاسواق التجاريّة العموميّة ليست بجديثة فان التاريخ يذكر ان تجار اثينة كانوا يجتمعون في بعض نوادي مرفإهم المدعو بيره (le Pirée) لحلّ هذه المضاربات. وكذلك الرومان قبل المسيح كان لهم ما يشبه هذه الاسواق يؤمّونها

للمعاملات التجارية . امَّا في اوربة فان هـذه النوادي العموميَّة للمتاجرات لا تتجاوز القرن السادس عشر

ولهذه الاسواق التجاريَّة مباني خاصَّة شُيِّدت لها في حواضر المدن تدعى ايضاً باسم البورصة تسميةً للمكان باسم ما يجري فيه . وربَّما كانت هـذه النوادي فخمة جدًّا كما ترى في باريس ولندن ونيويرك . ويُفرز لها في الغالب دواوين لاعضاء المجلس التجاري ومكان واسع لعمَّال الصَّرف والسماسرة يجتمعون فيه فيتخابرون في امورهم ويتبايعون القراطيس الماليَّة والاسهم التجاريَّة . واليه ايضاً يتوارد ارباب التجارة وكبار الماليين بل سائر طبقات القوم للمشتريات والمبايعات فيتعاطون الاشغال ويتاجرون بالمحاصيل والغلال وسندات الحكومات واوراق الشركات واسهم المعادن الى غير ذلك من المعاملات المتنوّعة التي لا تقع تحت حصر ولا يفي بها احصاء .

وكثيرًا ما يُنشأ لكل صنف من اصناف المعاملات نادٍ خصوصيٌّ كما تراهُ في لندن التي امتازت بين أُمَّهات المدن بنوادي بورصتها منهـا البورصة المعروفة بالمصرف الملكي (Royal-Exchange) حيث تجري المعاملات على بيع العُمْلة والموادّ الذهبية والفضيَّة والاوراق الماليَّة وما شاكل ذلك . ومنها بورصة رؤوس المال العموميَّة Stock-Exchange) مختصة ببيع السندات العموميَّة وشرائها وبالتساليف على المعادن وغيرها . ومنها بورصة الفحم (Coal-Exchange) تقام فيهـا اسواق اصناف الفحم كفحم نيوكَيل وكرديف . وبورصة البضائع التجاريَّة (Commercial Sale Rooms) للمضاربات على مبيع غلال المستعمرات واشترائها وغير ذلك

وبورصة باريس مشهورة في العالم كلهِ بحركتها وكثرة اعمالها ومَن دخلها رأى من جلبة العاملين وتحشُّهم في الاشغال ما اخذ منهُ العجب . والعالم الجديد يجاري بنواديهِ التجاريَّة العالم القديم فانَّ في نيويرك اعظم سوق للمضاربات في الاقطان . واشهر هذه المنتديات البورصة المسمَّاة (The New Stock - Exchange) قد تكاثرت فيهـا الاشغال حتى قيل انَّ في ١٨٩٥ بلغ مجموع ما تمَّ بيعهُ هنالك عن يد السماسرة اربعين مليون سهم . وفي السنة ١٨٩٩ ازداد عدد المضاربين حتَّى جاوزت معاملاتهم ١٧٠مليون سهم ثمَّ ادركت في السنة ١٩٠١ نيِّفاً و٢٥٠ مليوناً فتأمَّل . وبورصة الاسكندريَّة ذات

شأن عظيم واشغالها كثيرة غير أنها في اغلب الاحيان تكون تابعة من حيث تأثير الاسعار لسوق نيويورك

ويؤخذ من فكاهات جراند نويورك انهُ قدمها اخيرًا من شيكاغو رجلٌ يدَّعي النبوة تحت اسم « النبي ايليا » مع ثلاثة آلاف من تابعيهِ وقصدُهم الوحيد مقاومة اشغال البورصة ومنع المضاربات وكان حضورهم مع ثمانية قطارات وقام لوداعهِ من هنالك جمعٌ غفيرٌ كان قد احتشد على المحطة بالصلاة والابتهال لنجاح مهمتهِ. ولدى وصولهِ الى نيويورك استأجر له محلاً رحيبًا لاجل القاء المواعظ والخطب لحض الناس على اجتناب اشغال البورصة والمضاربات مظهرًا ذم اضرارها الوخيمة وخسائرها العظيمة فاجتمع حولهُ القوم افواجًا لسماع اقواله وكان يلقي المواعظ والخطب بتواتر وينشرها بعد ذلك في جريدة يومية انشأها لهذه الغاية واعدَّ لها مطبعة خصوصية. وكانت حاشيتهُ مؤلفة من ٥٠٠ حارس مدرَّع و ٦٠٠ مرتل اما النبي المذكور فهو الدكتور دواي وكان سابقًا قبل بضع سنوات قصد لندن للقيام بالامر عينهِ غير انهُ لم يصادف فيها نجاحًا لسخريَّة القوم باقوالهِ وثورتهم عليهِ فتركها غير آسف وذهب وهو يحمدُ الله لخروجهِ من بينهم سالمًا معافى

٣ مضاربات البورصة

اعلم انَّ معاملات البورصة يمكن ان تكون للمبادلات التجاريَّة محضًا. وليس الكلام عنها ها. وانَّما كلامنا عن المضاربات فقط. والمضاربة في عرف اهل البورصة انَّما هي مشترى شي. يؤمل بيعهُ بعد ذلك بربح او بيع شي. يؤمل مشتراه بسعر بخس (١ وتطلق عمومًا لفظة مضارب على كل مخاطر باي عملٍ كان وتدلُّ في سوق البورصة على كل مجازف ضعيف الحال يخاطر بمركزهِ وحالهِ في اشغالها الهوائيَّة تحت امل الكسب العاجل لان معظم هذه الاشغال ان لم نقل جميعها محفوفة بالمخاطر الجسيمة والخسائر البليغة نظرًا لما يطرق على سوقها من التقلبات السريعة المخالفة والغير المنتظرة

١) على ان هذا البيع وذلك الشراء ولئن كانا مقدوري التسليم من حيث العقد الَّا انَّهما من جهة التعامل الحقيقي الفعلي معلَّقان على ان يؤدي احدُ المتعاقدين الى الآخر الفرق بين الثمن المسمَّى يوم العقد وبين السعر الذي يبلغهُ المبيع يوم الأَجل لان المعاملات البورصيَّة تكون كلها بالنسيئة اي معلَّقة التسلُّم والتسليم على اجلٍ مسمًّى. وبعبارةٍ أُخرى ان البيع والشراء في البورصة يكونان رسمًا لا حقيقةً ولذلك اطلق عليهما القانون العثماني اسم المعاملات الهوائيَّة

وتعقد مضاربات البورصة بتفويضات معززة بمبلغ تأميني يدعى مارج (marge) باصطلاح العامة يتلقاها اصحاب الأجنسيات (agents de change) من الضاربين الطالبين البيع او المشترى ويجرون من طرفهم المعاملة بموجبها بسوق البورصة العمومية لمصلحة الطالبين مقابل عمولة (commission) على ذلك

ولمّا كانت شروط المبيعات والمشتريات بسوق البورصة جميعها مربوطة الى اجال معلومة محدودة اصبح كل مشترٍ او بائع عند استحقاق ميعاد التسلُّم والتسليم مجبورًا على اجراء احدهما. فلو فُرض ان احوال السوق قد ساعدت المشتري بارتفاع الاسعار واصرَّ على استلام البضاعة من البائع الذي يعجز عن ذلك فيصبح والحالة هذه ذلك البائع فاقدًا تمام مركزه وهو ما يُدعى باصطلاح الضاربين مكشوفًا ويضطر الى المشترى عكس خطته لئلّا تتعاظم الخسارة عليه وهو ما يُسمّى عندهم ايضًا بالتغطية (couvrir) ثم عند تغطية المكشوف وحيث تكون الاسعار قد تناهت وبلغت اقصى درجة ممّا يؤمل بالصعود وغاية ما تدعوهُ اليها الاحوال ينقلب عندئذ المشترون اعني حزب التحسين الى عكس مجراه وهو المبيع فيأخذ عند ذلك السوق بخطّة النزول ويُدعى هذا برد فعلٍ فينال اذ ذاك حزب الصعود قسمة فرق الاسعار التي يُغرم بدفعها حزب النزول. وتكون الاحوال على عكس ذلك لو كان السوق اخذًا خطة النزول.
ولا يخفى على العاقل البصير ما في هذه الاشغال من الخسائر التي تجلب على اربابها اعظم المصائب كيف لا وأننا نرى احوال هذه الاعمال متناقضة متضاربة متخالفة هوائيّة لا يُعرف لها قاعدة ولا يُبنى عليها قياس

٣ البورصة في بيروت

وقد تكاثر في بيروت في هذه السنين الاخيرة امر هـذه المجازفات حتى تطرق البعض باعتبارها تجارةً خصوصية يتعاطونها وجعلوا يراقبون حركاتها من صعودها وهبوطها بيعًا وشراءً. وفي سنة ١٨٩٣ تعدد طلاب البورصة وتكاثرت اشغال المضاربات في بيروت واخذت اسهم المعادن بخطّة الصعود فحمي وطيس الاعمال واغترَّ الاكثرون بظواهر الاحوال واندفع فريق عظيم الى المشتريات والمضاربة. ومنهم قوم قيل انهم جمعوا المال بالعرش الواحد من التقتير والاقتصاد وغيرهم من الكد وعرق الجبين

وكانت قد تألّفت لذلك وكالات (اجنسيّات) عديدة عندنا خدمةً لهذه التجارة

وتسهيلا لاعماله. وكان لها سماسرة مأجورون يتجولون في كل ناد لترغيب القوم ودفعهم الى الاشتغال والإقبال على العمل وقيل انهم كانوا من الدهاة الماهرين ومن ذوي الحنكة والدراية يقصّون على القوم الاخبار الكثيرة العجيبة من غنى البعض في بلاد اوربة واثراء الآخرين في اميركة من وراء المضاربات بالبورصة الى غير ذلك لاجل استنهاض همتهم ودفعهم الى العمل قبل فوات الوقت المناسب (وكما كانوا يقولون) وضياع الفرصة اللائقة للمكاسب

فكان ذلك داعياً الى انخداع كثيرين من البسطاء للتورط بهذه الاشغال وخصوصاً فئة من الناس الذين لم يكونوا يدركون من اعمال البورصة وحالاتها وكيفياتها سوى اسمها المعروف . وكانت تلك الاجنبيات عظيمة الاهتمام بتصدير النشرات المتواترة يومياً عن اسعار السوق وتوزيعها على الزبن وكان البعض من المضاربين لا يسعهم الانتظار الى الصباح لاجل اخذ الاخبار فيقضون اطراف الليل في السهر انتظاراً لورود اخبار قفل سوق نيويرك للاطلاع على اسعارها

وقد راجت سوق البورصة بذلك الوقت في بيروت واي رواج حتى اضحى امرها شغل القوم الشاغل . وكنت اذا تجولت في اسواق البلدة ونوادي القوم لا تسمع سوى حديث عن المزمبيك والشابا والديبرس والترنسفال والشارتردوا الترو بوليتين والرندفنتين والسكر والقطن المصري والقطن الاميركاني الى غير ذلك من اسهم المعادن والاوراق من اشغال البورصة

كيف لا وكانت قد شغلت طلبات البيروتيين اسواق البورصات الاوربية والاميركانية والمصرية حتى أنهم ادهشوا بتلك النهضة الغير المألوفة من مثليهم رجالها واعجبوا بعزم اندفاعهم اعظم مضاربيها . وبيناهم على تلك الحال هائمون في بحار التخيلات طائرون في فضاء الاوهام اذ طرق على سوق البورصة ذاك النزول المشهور الذي صفق المضاربين صفقة اليمة قد ضعضعت شملهم ونجم عنها للبيروتيين من الاضرار الجسيمة والخسائر الفاحشة كما وانه انحطّت ركاب التجار ففقدوا الثقة المالية من ربوعهم في تلك الأيام ما جعلهم ان يكون لهم عبرة في اشغال البورصة الى مستقبل الأيام

الرأي العام

وكما تقدم اليه الكلام ان قصد المضاربين من اشغال المضاربات هو الكسب العاجل ولكن هيهات ان يصادفوهُ اذ « تجري الرياح بما لا تشتهي السفن » خصوصاً أننا نرى اكثر من يتعاطون هذا العمل ضعيفي الساعد على احتمال تقلبات الاسعار ونكبات الخسائر

وغاية ما يُقال في امر هذه الاشغال انهُ منافٍ على خطةٍ مستقيمة لروح الشرائع وعبثاً يسعى البعض في المدافعة عن العابها بحجج يقنع لها السذج غير ان اجتماع كلمة الرأي العام على التنديد بهذه الألعاب لأقوى دليل على فسادها ومضارّ نتائجها

وقد طالعنا اخيرًا في الجرائد اخبار الهيجان الحاصل باسواق المضاربات سواء كان في اوربة او في اميركة وسمعنا بنهضة رجال اشداء وقيام قوم عقلاء يسألون حكوماتهم وضع حدّ لتيار هذه المجازفات الوخيمة وسن قانون يوقف اندفاع المضاربين وطياشة اعمالهم التي تجلب على العالم اعظم الخسائر وتفسد الاخلاق (١

ولمّا كانت المقامرة من اهم اشغال هذه المضاربات رأينا ان نفرد لها ايضاً بحثاً يأتي الكلام عليهِ في عدد آخر ان شاء الله

المخطوطات العربيَّة في خزانة كليَّتنا الشرقيَّة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٤ً البنودسات والمجامع

(العدد ٢٨) مجموع طولهُ ٢٢ سنتمترًا في عرض ١٦ س عدد صفحاتهِ ٥٢٦ وفي الصفحة ١٧ سطرًا كُتب في اواسط القرن الثامن عشر. وفي صفحتهِ الاخيرة تاريخ سنة ١٩١ لعلّها السنة الهجريّة ١١٩١ الموافقة للسنة ١٧٧٧. وهو مخطوط على قرطاس

١) امّا حكومتنا السنية فانّها ايّدها الله قد استدركت فحظّرت قانونها المعاملات (المراباة) على الاطلاق بحيث انهُ لو تقدَّمت لاحدى محاكمها دعوى مبنيَّة على تلك المعاملات فان المحكمة تردّها ولا تسمعها